الاوروبية . وهذا من ابرز اسباب أزمتها ، التي يسميها بعض المفكرين ـ ومنهم مهدي عامل ـ ازمة بنيوية داخلية ، معتبرين أن المجتمع اللبناني قد انتقل من الاقطاع الى الرأسمالية ولكن في ظل التبعية البنيوية للامبريالية ، فدخل من البداية في طور أزمة ليست سوى ازمة الامبريالية نفسها[١٣] . في حين يفضل مفكرون آخرون القول بأن المجتمع اللبناني انتقل من الاقطاع الى مرحلة من التكون الطبقي ، الانتقال المعاق ، أو الرأسمالية المعاقة . الاّ انهم يجمعون على اعتبار النظام اللبناني في أزمة بنيويّه ، رغم الازدهار النسبي المؤقت الذي حصل لاسباب خارجية في عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون . كما يجمعون على أن الانتقال الى الرأسمالية ، وسيطرة الطغمة المصرفية ـ التجارية على الاقتصاد ومقاليد الأمور ، قد تّم وفقاً لمساومة كبرى جعلت هذه الطبقة المسيطرة تكلف فئة سياسية معبرة عن بقايا الاقطاعات السياسية ، بأن تتولى السلطة السياسية « كفئة حاكمة وكوكيل للبورجوازية » على حد تعبير فواز طرابلسي) .

واذا كانت البورجوازية اللبنانية قد عجزت ، من الأساس ، عن القيام بمهمة توحيد الشعب توحيداً حقيقياً (وهي مهمة لم تطرحها أصلاً لأنه ليس من مصلحتها ذلك) ، فانها نجحت في تحقيق نوع من « الوحدة » الطائفية او التلاقي الفوقي بين الطوائف ، على النحو الذي يحصر الصراع ـ في نظرها ـ ضمن هذا الاطار بالذات ويحاول ان يشلّ قدرات الجماهير المناضلة ضد هذا النظام وضد التبعية للامبريالية ، فتتأمن بذلك ديمومة « الصيغة النموذجية الفريدة » ويعيش « فسيفساء الطوائف » الى الأبد .

ولقد جاءت الحرب الأهلية اللبنانية بالضبط عندما كانت الازمة الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ السياسية قد أخذت تهدد بانهيار هذه « الصيغة الفريدة » التي طالما تغزّل بها الاعلام الانعزالي ، وأقام لها تماثيل التمجيد وقدم لهاالقرابين . كما جاءت هذه الحرب في الوقت الذي كان دور « الصلة الحضارية بين الشرق والغرب » (وفي الحقيقة : دور الوساطة بين الاحتكارات الغربية والاسواق العربية ومواقع النفط) يتقلص ويتهاوى ، بالنظر الى عوامل اقتصادية وسياسية واستراتيجية نابعة من آلية العلاقات بين الدول الغربية والمنطقة العربية . وجاءت الحرب بينما كان الحكم اللبناني يصر ، رغم اشتداد الازمة الداخلية وتعقد العلاقة مع المقاومة الفلسطينية وتزايد الاعتداءات الاسرائيلية في الجنوب ، على رفض الاعتراف بأن التركيبة الطائفية اللبنانية تؤدي تدريجياً ليس لتفكك الفئات الكادحة والمعادية للنظام ، فحسب ، بل لتفكك هذا النظام بالذات ايضاً .

وقد عجز الاعلام الرسمي والانعزالي ، طوال فترة السبعينات ، عن اقناع الناس بأن أسباب الازمة كلها خارجية . وعجز عن اقناع الناس بأن تركيبة الحكم ، وسيطرة اصحاب الامتيازات ورسوخ الطائفية السياسية ، ليست هي السبب في الأزمة ، وان كل ما في الأمر هو بعض الأخطاء والنواقص في « الممارسة » وان الوجود الفلسطيني المسلح والتدخلات العربية قد امعنت في استغلال هذه الاخطاء وهذه النواقص . والفكرة التي تلي هذه الاخيرة مباشرة ، هي تلك التي تقول بأن التوازن اللبناني ، الذي بقي قائماً رغم الازمات بفعل ازلية الصيغة وبفعل « العناية الالهية » ، هذا التوازن القائم بين « الجناحين المسيحي والاسلامي » قد اختل ، لسبب خارجي أيضاً ، بالنظر الى ان الوجود الفلسطيني في لبنان قد دخل طرفاً في الصراع فاختل التوازن ، بمعناه التقليدي ، لصالح الجناح الاسلامي ضد المسيحيين (كما تقول